الباعث الاجتماعي في تضمين القصة الموسوية في الشعر الأندلسي

د.فاطمة حيدر علي رغد فاضل علي
جامعة بغداد - كلية التربية للبنات - قسم اللغة العربية

الملخص
تتلخص أهمية الباعث الاجتماعي في بيان الدور العظيم، والمهم لقصة النبي موسى (ع) في القرآن الكريم، لاسيّما أنها من أعظم القصص المنتشرة في القرآن الكريم ، وهذا ما أعان شعراء العصر الأندلسي على تضمينها لملائمة جوانبها العظيمة مع جوانب سائدة في بيئتهم وحياتهم الاجتماعية عن طريق الباعث الاجتماعي ، وعن طريق علاقة الشاعر بالمجتمع الأندلسي ، وما يسود فيه وملائمة مواقف وأحداث الشاعر مع أحداث القصة الموسوية ، فضلاً عن التعبير فنياً عن مجتمعه بكونه مرآة صادقة على تصوير الواقع والحقيقة التي يحيط بها المجتمع الأندلسي بجوانبه ومكوناته كافة ، وهذا ما دعا الشاعر إلى اتخاذ القرآن الكريم ، ولاسيّما القصة الموسوية الدالة على التطابق الكبير من أحداثها مع أحداث المجتمع الأندلسي مثالاً يحتذى به في التعبير عن حال مجتمعه بسلبياته وايجابياته.

The Social Motive Behind the Inclusion of Moses Story Within Andalusi Poetry

Dr. Fatima Haider Ali Raghad Fadhil Ali
University of Baghdad- College of Education for Women - Arabic Language Dept.

Abstract
The significance of the social motivation lies in showing the great and important role of the story of the prophet of (Moser (Peace upon him) in Quran , especially , it is considered the greatest one in Quran , as that confirmed by the poets of Andalusera ,as it includes aspects similar to that prevailing over in their environments and their social life via the social motivation. Moreover , the relation's poets with the Andalus society where suitability prevailing over consistent with the events of the story; bedsides, artistic expression about the society for being considered as a trust mirror reflect real facts surrounded by the Andalussociety with all its sides and aspects . Thus , the poet takes Quran , especially the story of Moser for being consistent with the events of the Andalus society and that being considered as an example that should be followed up as to express negative and positive aspects of the society.

الباعث الاجتماعي
إن الباعث الاجتماعي على الشعر هو لسان حال الناس في بسلبياته وايجابياته فثقافة الشاعر الدينية والإنسانية واطلاعه على أحوال مجتمعه أمر يسير في تحديد ملامح المجتمع في مخيلتنا في العصور الأندلسية الأربعة (الطوائف، المرابطين، الموحدين، بني الأحمر)، فعُني الشعر الأندلسي بتصوير حال مجتمعه وتفكيره وكافة جوانبه المشتملة على حالات الفقر والجوع والغنى وحياة الترف والمرح، ويراد به جمع من الناس في حالات اجتماعهم في دعوة أو وليمة أو اجتماع لمقارضة الشعر والأنس في متنزهات الأندلس. وغيرها من العادات والتقاليد وبعض الأعمال والأنشطة والأفعال الجماعية. ومخاطبة المفرد بخطاب الجماعة للتعظيم في قصائد الاخوانيات والغزل وغيرها من أغراض الشعر الاجتماعي.
وغالباً ما يكون الشعر الاجتماعي معالجاً لقضايا مجتمعه وطموحه وتطلعاته وما يصبو إليه لاسيما أنهم عاشوا حياة صاخبة بسبب حكامهم وخلفائهم المستبدين، مما دفعهم من سبب سوء أوضاعهم الاجتماعية إلى التعبير عن حال المجتمع وهذا يتم عبر الشاعر المتأثر بحال مجتمعه، أي إن الشاعر يتأثر بالحياة الخارجية المحيطة ببيئته الاجتماعية، والقائمة على أحوالها المختلفة وهو يستمد شعره من حياة هذا المجتمع[١].
إن تضمين الشاعر الأندلسي للقصة الموسوية منحته الفرصة للتعبير فنياً عن مجتمعه باعتبارها مرآة صادقة تعكس جوانب المجتمع الأندلسي بكافة طبقاته ومكوناته من العرب والمسلمين واليهود والبربر والنصارى والمولدين.
فتضمين قصة النبي (ع) وفق الباعث الاجتماعي وجه من أوجه التفاعل بين الدين الإسلامي والمجتمع الأندلسي، مما يعني أن عودة الشاعر للتراث الديني ليضمن رؤيته الشعرية الاجتماعية ليست عودة اعتباطية، إنما هي عودة مقصودة ذات هدف وغاية يقصد من خلالها التعبير عن مجتمعه، فالشاعر لا يضمن القرآن إلاّ اذا رأى فيه صورة مجتمعه على

الرغم من اختلاف المقام الذي انشأ النصين كليهما، وهذا يعني ان النص القرآني قابل للتجديد والاستمرار في أي زمن[٢]. فضلا عن ذلك ما يتضمنه المجتمع الاندلسي آنذاك من خليط ديني وغير ديني قد يكون الامر غير معتمد من الشاعر لان الثقافة في ذلك الوقت تعتمد على الجانب الديني بالدرجة الاساس.

ومن ذلك ما انشده ابن زيدون رؤيته الشعرية المتضمنة لقصة النبي موسى (ع) من سجنه الذي عانى فيه الصعاب والظلم وشماتة الأعداء، إذ نجده يوجه رؤيته الشعرية هذه إلى صديقه الوزير أبي حفص أحمد بن برد يشكوه فيها حاله فيقول[٣]:

يـــا ابـــا حفـــص ومـــا ســـا ... واك فـــي فهـــمٍ إنـــاسُ[٤]

مـــن ســـنا[٥] رأيـــك لـــي فـــي ... غســـقِ[٦] الخطـــبِ اقتبـــاسُ[٧]

أنـــا حيـــرانُ وللأمْـــ ... ـرِ وضـــوحٌ والتبـــاسُ

مـــا تـــرى فـــي معشـــر حـــا ... لـــوا عـــن العهـــد خاســـوا[٨]

ورأوْنـــي ســـامرياً ... يُتَّقـــى منـــه المســـاسُ

أذْوُبٌ[٩] هامـــتْ بلحمـــي ... فانتهـــاشٌ[١٠]وانتهـــاسُ[١١]

كلهـــم يســـألُ عـــن حـــا ... لـــي وللـــذئبِ اعتســـاسُ[١٢]

وإن قســـا الـــدهرُ فللمـــا ... ء مـــن الصـــخرِ انبجـــاسُ[١٣]

فالشاعر ابن زيدون يصف حاله في الخطاب الشعري الذي ارسله من السجن إلى صديقه الوزير ، فيبدو من موضوع القصيدة وغرضها الشعري ان الوزير هو الوحيد الذي ظل وفياً للشاعر ووقف معه، بينما تنكر له الباقون وتركوه في محنته وحيداً، وانقلبوا ضده وتبرأوا منه، فالشاعر يصف حاله في هذه المقطوعة بحال السامري حينما أغوى بني اسرائيل بجمعهم مصوغاتهم الذهبية فصنع منها عجلاً جسداً له خوار وقال لهم بأن هذا ربهم ورب موسى (ع) ليعبدوه على غفلة من النبي موسى (ع) فلما علم النبي موسى (ع) بذلك دانهُ على فعلته هذه وأمر قومه بأن لا يأكلوه ولا يخالطوه ولا يلامسوه، تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ** [١٤].

ابن زيدون يستنجد بالوزير أبا الحفص باتخاذه السند والدليل في حيرته بأمرهِ وبمصيبته في سجنه، فالسجن من الأمور السيئة التي يتعرض إليها الفرد في حياته فكيف يكون في مجتمع مثل المجتمع الأندلسي تسود فيه النميمة والحسد والنفاق والشماتة لما حصل للشاعر وتركه في شدته وحيداً يقاسي الدهر بكل صعابه حتى أصبح كالسامري يقاسي الدهر بكل صعابه حتى أصبح كالسامري وحيداً لا يكلموه ولا يقابلوه ولا يخالطوه، فالشاعر مثلّ أعداءه بالذئاب الخارجة البارزة قوتها في الليل والبارزة في النهار لكي تصيد فرائسها خفيةً فيلتهموها بأسنانهم وأنيابهم، لكنه يتأمل في ختام خطابه الشعري بأن الدهر وإن قسا عليه فلابد أن يخرج من سجنه ويفرج عنه كخروج الماء من الصخر بفعل عصا موسى (ع) **قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ** [١٥]. فقد عمد الشاعر الى استخدام اسلوب التضمين الاشاري في بيان الحادثة الشعرية الاجتماعية واختصار حالة الشاعر برؤية معبرة عن حاله وحال السامري في ذات الوقت؛ مما يكن للتضمين فضلا كبيرا على تناسق الاحداث وتداولها شعريا، ولابن زيدون رؤية شعرية اجتماعية ملائمة لحادثة موسوية أخرى يؤكد فيها فراره من سجنه، مبرراً موقفه هذا بموقف النبي موسى (ع) حينما فر من مصر إلى مدين، فيقول[١٦]:

عـــدا[١٧] ســـمعه عنـــي وأصـــغى الـــذي عـــدى[١٨]

لهـــم فـــي أديمـــي[١٩] كلمـــا اســـكنوا عـــطَ[٢٠]

بلغـــتُ المـــدى إذ قصّـــروا فقلـــوبهم

مكـــامنُ أضـــغانٍ[٢١] اســـاودها[٢٢] رُقـــطَ[٢٣]

يُولـــوننني عُـــرْضَ الكراهـــةِ والقِلـــى[٢٤]

ومـــا دهـــرهم إلاّ النفاســـةَ[٢٥] والغمـــطَ[٢٦]

وقـــــد وســـــموني[٢٧] بـــــالتي لســـــتُ أهلهـــــا

ولـــــم يُمْـــــنَ[٢٨] أمثـــــالي بأمثالهـــــا قـــــطَ

فـــــررْتُ فـــــإن قـــــالوا الفـــــرارُ إرابـــــةً[٢٩]

فقـــد فـــرَّ ((موســـى)) حـــين هـــمَّ بـــه القـــبْطَ

وفي معرض شكوى الشاعر مخاطباً حبيبته ولادة بأن ابن جهور لا يباليه أمراً فقد صرف سمعه عنه فأصغى إلى حساده وأعدائه الممزقين والمنتهبين لجلده بغيبته والبهتان عليه، فكانوا بالنسبة لابن زيدون كالثعابين المرقطة وبقلوب مليئة بالحقد والحسد، فجزاءهم كان للشاعر الهجر والكراهية والبخل وإنكار الحق وعدم الشكر على فضله، لاسيما أنهم وصفوه بصفات واسماء لم يكن يحملها ويختبر ويمتحن أحداً غيره، فنتيجة لهذه القسوة والجفاء والظلم فرّ الشاعر من سجنه فاتهموه بالخوف والريبة والمنقصة نتيجة فراره من سجنه فيبرر ذلك بفرار النبي موسى (ع) من مصر إلى مدين حينما قتل المصري وتوعده فرعون بالقتل فلم يكن هذا الخوف منقصة من شخص النبي موسى (ع) إنما هو خوف على فشل مهمته في أداء رسالته النبوية، تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ** [٣٠].

وننتقل إلى الشاعر ابن حزم الأندلسي[٣١]، وفي معرض فخر الشاعر بنفسه إذ يورد قصيدة وإن كان أكثرها ليست من جنس الكتاب. فكان سبب قوله لها أن قوماً من مخالفيه أشرقوا به فأساءوا العتب في وجهه وقذفوه بالباطل، عجزاً منهم عن مقاومة ما أورده الشاعر من نصر الحق وأهله[٣٢]، فخاطب بعض أخوانه بقوله[٣٣]:

وخُـــذي عصـــا موســـى وهـــاتِ جمـــيعهم

ولـــو انهـــم حيـــات ضـــالٍ نضـــانضُ[٣٤]

يـــذيعون فـــي عينـــي عجائـــب جمّـــةٍ

وقـــد يتمنـــى الليـــثُ والليـــثُ رابـــضُ

فقد وقف بعض الفقهاء من ابن حزم موقفا معادياً لأنه اتخذ المذهب الظاهري ونادى به بين الناس وهو يخالف مذهب مالك في الأندلس، ولذلك جرت مناقشات ومداولات بينه وبينهم في جلسات شعرية عبر بها عن شعره متمنياً أن تكون عصا موسى (ع) التي تحولت بقدرة الله سبحانه وتعالى وبفضل معجزة الكليم (ع) إلى ثعبان وهي تلقف حبال السحرة، ولا يهمه بعد ذلك أن يأتيه هؤلاء المناوئون له جميعاً وإن كانوا يملكون لساناً حاسماً مثل حيات السحرة التي فتحت فاها وأخرجت لسانها تتنضض لتخيف النبي موسى (ع) مع المراوغة بشتى الحركات المخيفة، لكن تلك الحركات لا تخيف الليث الذي تحول إلى ثعبان مارد يلقف تلك الحبال والعصي ويعلن انتصاره عليه، فقد ضمن الشاعر ذلك الموقف الاجتماعي بقوله تعالى : **فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ** [٣٥].

ولابن حزم ضمن الباعث الاجتماعي رؤية شعرية أخرى أطلقها في جلسة شعرية بينه وبين منافسيه، فيقول[٣٦]:

وابـــرز مـــن صُـــمَّ الحجـــارة ناقـــةً واســـمعهم فـــي الحـــين مـــن حُوارُهـــا

ليـــوقن اقـــوامٌ وتكفُـــر عصـــبةٌ أتاهـــا بأســـباب الهـــلاك قـــدراها[٣٧]

وشـــق لموســـى البحـــر دون تكلـــف وبـــان مـــن الامـــواج فيهـــا انحســـارها

فالشاعر اراد من خلال هذه الأبيات أن ينافس الأقوام الذين نافسوه في علمه وادبه فضرب لم مثلاً من القرآن الكريم في أن من الحجارة الصماء قد خلق الله منها ناقة لقوم صالح (ع) وأسمعهم حوارها (ابن الناقة) وهو ينادي على امه حتى يتيقن هؤلاء من قدرة الله على الخلق وتهلك العصابة التي قتلت هذه الناقة التي تأكل من أرض الله ونسقيهم لبنها وكذلك من نعم الله سبحانه أنه شق للنبي موسى (ع) البحر دون عناء وتكلف وعبر هو وقومه بين أمواج البحر المنحسرة عنه، فهل بعد ذلك ينظر إلى الشاعر باستصغار وإذلال وهو مثل هذه الحجارة التي خلقت منها ناقة صالح (ع) وآية موسى (ع) الذي شق له البحر تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى** [٣٨].

وضمن جوانب الشعر الاجتماعي (الغزل) ينشد ابن حزم خطابه الشعري المتضمن للقصة الموسوية، فيقول[٣٩]:

يلومـــونني فـــي مـــوطئ [٤٠]خفـــه جفـــا[٤١] ولـــو علمـــوا عـــاد الـــذي لا يحســـد

فيـــا اهـــل الأرض لا تجـــود ســـحابها خـــذوا بوصـــاتي تنشـــغلوا وتحمـــدوا

خـــذوا مـــن تـــراب فيـــه موضـــع وطئـــه واضـــمن أن المحـــل[٤٢] عنـــدكم يبعـــد

فكـــل تـــراب واقـــع فـــي رجلـــه فـــذاك صـــعيد طيـــب لـــيس يجحـــد

كـــذلك فعـــل الســـامري وقـــد بـــدا لعينيـــه مـــن جبريـــل أثـــر ممجـــد

فصـــر جـــوف العجـــل مـــن ذلـــك الثـــرى[٤٣] فقـــام لـــه منـــه خـــوار ممـــدد

فالشاعر ينظر إلى الحبيب نظرة مقدسة فهو يحمل بين جنباته الخير للناس جميعاً ومع ذاك يلومه الناس في حبه له، فلو علم هؤلاء الناس ماذا تفعل قدمه حين تسير على الارض لتركوا اللوم، فالأرض التي تحدب عندهم ولا تمنعهم ثمارها فليسمعوا نصيحة الشاعر بأن يأخذوا التراب الذي تحت قدميه فيضمن لهم بأن هذا القحط سيزول لأن كل تراب تحت قدمه يتحول إلى ارض خضراء يانعة. فالشاعر يصف هذه الحالة ويقرنها بالسامري الذي أخذ التراب من تحت قدم جبريل (ع) ورماه على ما يحمل بني اسرائيل من ذهب فتحول بصنعه إلى عجل جسداً له خوار، فأخذوا يعبدوه على غفلة من النبي موسى (ع)، تضمين اشاري لقوله تعالى : **فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ** [٤٤]. لملائم ة الحدث القصصي القراني مع الحدث الشعري

وتكثر المناظرات الشعرية لشعراء العصر الأندلسي، ومن الذين اقاموا هذه المناظرات السمسير الالبيري[٤٥]، بقوله[٤٦]:

يـــــا شـــــعراء العصـــــر لا تحســـــبوا شـــــعركم مُـــــذ كـــــان محسوســـــا

فإنمـــــا حـــــيكم ميـــــتٌ كأنمـــــا محبـــــيكم عيســـــى

إن كـــــان منظـــــومكم عنـــــدكم ســـــحراً فمنظـــــومي فـــــي عصـــــا موســـــى

أقام الشاعر السمسير الالبيري مناظرة شعرية مع شعراء عصره، وقد فند شعرهم بأنه غير محسوس أو لا يمكن الاحساس به بعكس ما يظن هؤلاء الشعراء، فهم ميتون عديمون الاحساس مثل شعرهم لكنهم يظنون أنهم أحياء فلا يمكن إحياءهم إلاّ بمعجزة من السيد المسيح (ع) أي أنهم بحاجة إلى معجزة إلهية كي تنجيهم من غفلتهم وإحساسهم الخاطئ بشعرهم، فإذا كان شعرهم بالنسبة إليهم نوع من السحر يخلب الألباب ويأسر العقول، فإن شعر الشاعر السمسير الالبيري كأنها عصا النبي موسى (ع) التي تلقف ما يقولون نظرائه من الشعراء تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ** [٤٧].

ولبيان الحالة الاسرية للشاعر وموقفه تجاه ممدوحه ناصر الدولة ينشد ابن اللبانة[٤٨] رؤيته الشعرية بقوله[٤٩]:

بكـــت عنـــد تـــوديعي فمـــا علـــمُ الركـــب[٥٠] إذاك ســـقيط الـــذل[٥١] أم لؤلـــؤ رطـــبُ ؟

وتابعهـــا ســـربُ وانـــي لمخطـــئ نـــومُ الـــديّاجي[٥٢]لايُقـــالُ لهـــا ســـرِبُ

لـــئن وقفـــت شـــمس النهـــار ليوشـــعٍ لقـــد وقفـــت شـــمسُ الهـــوى لـــي والشـــهبُ

فعندما عزم الشاعر برحيله إلى الممدوح وقفت زوجته أمامه مذهولة من هذه الحالة القاسية، فنظرت إليه مودعة وهو يلتحق بالركب وقد سقط من عينيها دموع كأنهن قطرات الندى أو حبات اللؤلؤ، وزوجته في حالتها هذه يتمسك أطفالها بتلابيب ثوبها كأنهم نجوم متلاحقة ومتصلة مع بعضها البعض، وكأن هذه الزوجة الشمس والأطفال الشهب من حولها مثل الشمس التي وقفت لفتى النبي موسى (ع) يوشع لغرض تأدية الصلاة قبل مغيبها .

لذلك نخلص أن هؤلاء الشعراء من خلال لتضمينهم للقصة الموسوية يختلف كلامهم الثاني عن كلامهم الأول، بمعنى ان تضمينهم للقصة الموسوية من خلال الباعث الاجتماعي هو لإرساء الفكر الديني المؤيد بالجانب الاجتماعي بما تحويه هذه القصة من حكم ومواعظ، ففطن الشعراء إلى الاستفادة من القصص القرآني وتقليده وتضمينه في أشعارهم تارةً، وتارةً أخرى وجد الشاعر ضالته في القصة القرآنية فقام بتضمينها ليعبر من خلالها عن قضيته الاجتماعية. فالقصة في القرآن تهدف لأمور دينية وإيمانية واجتماعية. فضلا عن ذلك من الجانب الديني هو جزء من ثقافة الشاعر، فتسخيره في الشعر لا يتم عن قصدية دينية وانما ثقافية ذلك ان قصة موسى عليه السلام جوانب مضمونية كثيرة يمكن للشاعر تسخيرها للتعبير عن الجوانب الاجتماعية.

ومن مظاهر الحياة الصاخبة في المجتمع الأندلسي (الفقر)، وهذا ما بينه ابن الجزار السرقسطي(٥٣) في رؤيته الشعرية التي أنشد فيها اثر الفقر والإملاق الذي لازمه شطراً من حياته المأساوية ، سلبياً، إذ أنه لا يبالي وهو في موقف الخصومة والمهاجاة. إن يعترف بهما. فيحاور خصمه أبا الحسن البرجي ويرد على تعبيره إياه بقوله(٥٤):

ولــــو ابتليــــت وعــــلّ ذلــــك كــــائن
بــــالفقر مــــا عيــــرت ذا اســــتجداء

والأنبيــــاء المرســــلون اســــتطعموا
وبلــــوا بــــداء الفقــــر كــــل بــــلاء

أو لــــيس موســــى قــــد تــــوخى(٥٥) قريــــة
مســــتطعماً فأبــــت كــــل إبــــاء

فالشاعر يعرض حالته التي وصلت إلى الحضيض والعدم والفناء بعد اتخاذه الشعر مكسباً له ولعائلته، فلم يحصل على شيءٍ منه فعاد مجدداً إلى مهنته الجزارة وأخذ يبيع اللحم، وما أن مر عليه الوزير (أبا الفضل) فعاتبه على ترك قول الشعر لكونها مهنة وفن في ذات الوقت، واتخاذه مهنة القصابة عملاً دائماً له، فكان رد الشاعر عليه بأن هذه المهنة توفر له بعض المال لإنقاذه من سوء حالته الاجتماعية ورفعه من العدم الذي فيه، فخاطب الوزير بأنه لو ابتلي بهذا الداء (الفقر) ما عيره أحد لاسيما أن هذا الداء قد ابتلي به الأنبياء والمرسلون ومنهم النبي موسى (ع) حينما صاحب نبي الله الخضر العبد الصالح (ع) فدخلا قرية ليستطعما فأبوا أن يضيفوهما مع أن قصد دخولهم لهذه القرية هو لإصلاح أهل هذه القرية وكشف الكنز المدفون تحت الجدار ليتمين كان قد تركا لهما أبوهما، تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا** (٥٦). فقد عمد الشاعر الى بيان صورته الشعرية بطريقة تعبر عن تكثيفها واغنائها بمعانٍ موحية معبرة من جزء من الحادثة الموسوية.

إن القصة الموسوية لم تكن عملاً وفكراً دينياً مقصوداً لذاته قدر انتمائها إلى ميدان الالتزام الفكري المستغلة من قبل الشاعر الأندلسي ليجعل من تضمينها معالجاً لقضية اجتماعية معينة ولكي تساق هذه القصة بنمطها ومضمونها الديني لتبث أبعاداً اجتماعية وإنسانية مقررة وهذا ما سنلاحظه في أبيات الشاعر الأعمى التطيلي(٥٧)، ومنها قوله(٥٨) :

ولابــــد للحــــق مــــن دولــــة تميــــت الضــــلال(٥٩) وتحيــــي الهــــدى

فيــــا ســــحر فرعــــون مــــاذا تقــــول اذا جــــاء موســــى والقــــى العصــــا

أسمى غايات الشرف والعقيدة وأزكاها والثبات عليها هو الحق، فبوجوده يتجلى النور وتتأسس مقومات القيم الفاضلة للدولة، وإعلاءه على الباطل، وبوجودها ينحدر الظلام ويحيا الهدى، وهذا ما أفصح به الشاعر ليتطرق من خلاله إلى الظلم والجور والبهتان الذي عانته اشبيلية من قبل حكامها المستبدين، مما جعل الشاعر يتخذ من هذا الباعث الاجتماعي معادلاً موضوعياً لظلم وطغيان فرعون وسحره، فبعصا موسى (ع) ومعجزاته الأخرى أزالت ما أسسه فرعون من سوء وظلم في دولته وحل مكانها دولة العدل والنور والحق، فالشاعر اتخذ من الحق موضوعاً ليضمن من خلاله جزءاً من القصة الموسوية ألا وهي إلقاءه العصا على فرعون وسحرته، بدلالة قوله تعالى : **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**(٦٠).

وفي بيان فعل العصا للنبي موسى(ع) يضمن الأعمى التطيلي رؤيته الشعرية في بيان ما يتعرض إليه من مضايقة، فيقول[٦١]:

نـــــراك كنـــــت عصـــــا موســـــى براحتـــــه[٦٢]

أو كـــــان عزمـــــك هـــــول الـــــنفح فـــــي الصـــــور

فعندما تعرض الشاعر إلى المضايقة والكلام القاسي من أحد الرجال العتاة تيقن للشاعر أن هذا الرجل كأنه عصا موسى (ع) في تحولها إلى ثعبان يلدغ ما يقابله من الناس حتى وإن لم يتعرضوا عليه، تضميناً لقوله تعالى **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ** [٦٣].

وفي بيت شعري آخر قريب من معنى البيت السابق، يعبر الشاعر عن ما تعانيه المجتمعات من أشخاص سيئين تكاد تكون أفعالهم المشينة مشابهة للجانب السلبي للعصا كما يصوره الشاعر بقوله[٦٤]:

عصـــــا جذيمـــــة[٦٥] **إلا مـــــا اتـــــيح لهـــــا**

مـــــن أمـــــر موســـــى وهـــــي ثعبـــــان

فالشاعر يصف هذا الشخص الذي أساء إليه أنه مثل عصا جذيمة الابرش الرجل الطاعن في السن ، فمثل هذه العصا مفيدة ونافعة إذ يتوكأ عليها حينما يدب على الأرض دبيباً، كعصا النبي موسى في احتوائها للكثير من المنافع كالتوكأ عليها والهش على الغنم فضلا عن المعجزة الالهية الموهوبة من الله تعالى الى الى النبي موسى لكن هذه العصا النافعة تنقلب إلى أفعى ضارة تلدغه فقد استاء منها إذ ظنها عصا مجردة لا غير، تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى** [٦٦] وكذلك قوله تعالى : **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ** [٦٧].

وعلى سبيل المثال وجد ابن رشيق القيرواني أن جودة التضمين (وهو جزء من التناص بالمفهوم المعاصر تكمن في موقع البيت المضمن من القصة الموسوية، وتصرف الشاعر وتفننه الأخذ بهذا البيت[٦٨]، وأوضح ابن حجة ذلك الأمر أكثر وضوحاً باشتراطه أن يكون البيت المضمن من القصة الموسوية يوطئ بتوطئة تناسبه وروابط تلائمه من قضية اجتماعية معينة بحيث يظن السامع ان الرؤية الشعرية بأجمعها للشاعر[٦٩] وهذا ما بينه ابن حمديس في خطاباته الشعرية بقوله[٧٠]:

وكنـــت وقـــدّي[٧١] **فـــي الصـــبا مثـــل قـــدّه عهـــدتُ إليـــهِ أنّ منـــه مكاســـبي**

فـــإن كـــان لـــي فـــي المشـــرفي مـــآرب[٧٢] **فكـــم فـــي عصـــا موســـى لـــه مـــن مـــآربِ**

فالشاعر يوازن بين قده أو جسمه الاهيف في عهد شبابه وبين سيفه الذي تفنن فيه الرائين وأعجبوا بتمايله وغنجه وحسنه وأوصافه، فالشاعر له في سيفه منافع ومصالح وهي بروز هيبته بهذا السيف واستمداد قوته وشجاعته منه كذلك إخافة الأعداء فهو مكسبه الوحيد وذخيرته في فرحه وحزنه فإذا كان هذا السيف يمثل للشاعر بهذه الأهمية لما يحمله من هذه المنافع العظيمة، فعصا موسى (ع) له فيها عدة منافع ومصالح، تضميناً نصياً لقوله تعالى : **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى** [٧٣].

وفي قول ابن حمديس يصف داراً بناها المعتمد بقوله[٧٤]:

ويـاحبـــــذا دارٌ يـــــد الله مســـــحت عليهـــا بتحديـــد البقـــاء فمـــا تبلـــى

مقدســـــة لـــــو انّ موســـــى كليمـــــه مشـــى قـــدماً فـــي ارضـــها خلـــع الـــنعلا

اذا فتحـــت ابوابهـــا خلـــت[٧٥] **أنهـــا تقـــول بترحيـــبٍ لـــداخلها أهـــلا**

فالشاعر يصف داراً للممدوح يجلس فيه الخليفة ووزرائه وحاشيته وتعقد فيه المقابلات الرسمية وتقيم فيه المجالس الشعرية فكأنما يد الله ويعني (التقديس) قد مسحت على هذه الدار فأصبحت عامرة بفضل محاسن أهلها ومكارمهم، فيصفها الشاعر (بالأرض المقدسة والوادي المقدس) التي سار عليها نبي الله موس (ع) فخلع نعليه لحرمتها وقدسيتها الشريفة تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** [٧٦] فإذا فتحت أبواب دار الممدوح لمحبيها استقبلتهم بالترحيب.

وضمن الباعث الاجتماعي ينشد الرصافي البلنسي رؤيته الشعرية في قوله[٧٧]:

فابلـــل بهـــا ريـــق الغَبـــوق[٧٨] فقـــد أتـــى مـــن دون قـــرص الشـــمس مـــا يتوقـــعُ

ســـقطت ولـــم يملـــك نـــديمك[٧٩] ردهـــا فـــوددت يـــا موســـى لـــو انـــك يوشـــعُ

فالشاعر يطالب نديمه أن يبلل ريقه بالعنوق وهو شراب عند المساء، فقد اتى المساء وغاب قرص الشمس ويحدث في تلك الفترة ما هو غير متوقع، وعندما سقطت الشمس إلى افق السماء عند المغيب لم يستطع النديم رد الشمس حتى يبقى ضوؤها فوق النديم ، فتمنى لو انه يوشع فتى النبي موسى (ع) حتى يرد الشمس إلى موضعها .

فمن خلال الباعث الاجتماعي استطاع شعراء العصور الأندلسية الاربعة نقل المتلقي إلى الجو القصصي القرآني المقدس وأخباره بأحوال الأمم والأنبياء من الأولين والسابقين وزيادة ثقافاتهم ومعلوماتهم الدينية المعززة بالجانب الاجتماعي للتعبير عن المجتمع الاندلسي في العصور الاندلسية الاربعة ومن ذلك ما انشده صفوان بن إدريس بقوله[٨٠] :

يـــا قمـــراً مطلعـــه اضـــلعي لـــه ســـواد القلـــب فيهـــا غســـقُ[٨١]

وربمـــا اســـتوقد نـــار الهـــدى فنـــاب فيهـــا لونهـــا عـــن شـــفقُ[٨٢]

فالشاعر هنا يخاطب الحبيب ويطلق عليه تسمية القمر لجماله وبهاء طلته وكأن هذا القمر ظهر من بين أضلعه، وكأن سواد عينيه كالظلام الخفيف الذي يحيط بهالة القمر، أي أن هذا القمر استمد نوره من نار الهدى التي استوقدت الضياء للنبي موسى (ع) وأراد أن يقبس منها جذوة، واخذ من تلك النار لون الشفق الحمرة المشوبة بالصفرة، تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى** [٨٣].

وفي وصف الشاعر لأبيات صاحبه الشعرية بقوله[٨٤] :

ورأيـــت رونـــق[٨٥] خطهـــا فـــي حســـنها

كالوشـــي[٨٦] نمـــق[٨٧]معصـــعم[٨٨] الحســـناء

فوصـــفها مـــن تســـع آيـــات لقـــد

جـــاءت بتأييـــدي علـــى أعـــدائي

فكـــأنني موســـى بهـــا، وكأنهـــا

تفســـير مـــا فـــي ســـورة الاســـراء

يصف الشاعر صفوان بن إدريس الأبيات الشعرية لصاحبه بأنها كالزخرفة الجميلة في معاصم النساء الجميلات، فالتقط الشاعر مفاتن هذه الأبيات وجمال حسنها ووصفها من خلال الآيات والدلائل التي جاءت بتأييده على أعدائه، متخذاً وصفه من هذه الأبيات معادلاً موضوعياً لما أيد الله سبحانه عزّوجلّ نبي الله موسى (ع) بالآيات التسع التي وردت في سورة الإسراء، وهي : العصا وإخراج يده من جيبه بيضاء والجراد والقمل والضفادع والدمن ورفع الطور، والمن والسلوى، وفلق البحر، تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا** [٨٩].

وينشد الشاعر صفوان بن إدريس رؤيته الشعرية من خلال إحدى موضوعات الشعر الاجتماعي (الهجاء)، فيقول[٩٠]:

وصـــاحب لـــي لا كانـــت طبائعـــه

كأنهـــا ســـحب بالســـرط[٩١] منهمـــرة[٩٢]

اذا احـــس بمـــأكول تقدمـــه

يكـــاد يســـبق فيـــه حلقـــه بصـــره

كـــأن فـــاه عصـــا موســـى اذا انقلبـــت

ومـــا تقدمـــه إفـــك مـــن الســـحرة

يتخذ الشاعر من عصا موسى (ع) هاجياً بها أحد أصحابه، إذ كانت قابليته على سرط والتهام الطعام كالسحاب المحملة بمطر غزير. هذه الحالة يقارنها الشاعر بحالة عصا النبي موسى (ع) حينما انقلبت إلى افعى لتلقف حبال وعصي السحرة، تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ** [٩٣].

فقد عبر الشاعر صفوان بن ادريس عن مواضيع اجتماعية مختلفة مستعيناً بموهبته الشعرية في تضمين القصة الموسوية فكانت خطاباته الشعرية زاخرة بنصوص قرآنية كاملة أو مشاراً إليها من خلال قدرته الفائقة على تحويل الفكرة الدينية الاجتماعية إلى فكرة جمالية .

إن التضمين من القرآن الكريم في القصائد الشعرية، لا يعد عند الشاعر الأندلسي أكثر من تأكيد المعنى الشعري لإيصال المتلقي إلى المعنى الاجتماعي المراد إيصاله من خلال تقنية القص القرآني المضمنة في أشعارهم. وهذا ما تجلى في ابيات ابن خروف[٩٤] الشعرية بقوله[٩٥]:

اذا رحلتْ عَروبةُ[٩٦] عن حِماها

تأوّه كل أوّاهٍ[٩٧] حليمِ

أي سبت حكى فرعون موسى

يجمع كل سحّار عليمِ

فتبصر كل أمْلودٍ[٩٨] قويم[٩٩]

يميسُ[١٠٠] بكل ثعبان عظيمِ

اذا انسابت اراقمه[١٠١] عليه

تذكرنا بها إليك السليمِ

وشاهدنا بها في كل حالٍ

حبالاً ألقينا نحو الكليمِ

كان المجتمع في الشام في عصر الشاعر ابن خروف لهم جانب ترفيهي وهو عند انقضاء يوم العروبة وهو يوم الجمعة، فإن بعض الناس يتحللون من واجب ديني قد ادوه يوم الجمعة ويأتي يوم السبت يبيحون لأنفسهم الحرية التامة. ففي هذا اليوم اجتمع سحرة فرعون لاختبار نبي الله موسى (ع) في صدق معجزاته ونبواته، وكأن اجتماع الناس في هذا اليوم مثل اجتماع السحرة في زمن فرعون فإنهم يخرجون إلى المتنزهات فتخرج الحسناوات وهن يتمايلن في مشيتهن فيسير وراءهن الفتيان فيقضون ليلهم في تلك المتنزهات وقد ذهب النوم عنهم مثلما ذهب عن اللديغ، فقد اتخذ الشاعر يوم السبت معادلاً موضوعياً لليوم الذي ألقى فيه النبي موسى (ع) عصاه على سحرة فرعون لتلقف حبالهم وعصيهم تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ** [١٠٢].

إن ظهور تضمين القصة القرآنية في شعر شاعر يدل على ثقافة الشاعر العامة، فاستغل هذه الثقافة ووظفها في باعثه الاجتماعي (الغزل) ضمن معادل موضوعي من القصة الموسوية وهذا ما فعله ابن مرج الكحل[١٠٣] بقوله[١٠٤]:

أفَلَتْ[١٠٥] فنابَ سناك[١٠٦] عن إشراقها

وجلا[١٠٧] من الظلماء ما يتوقعُ

فأمنت يا موسى الغروب ولم أقلْ

((فوددت يا موسى لو أنك يوشعُ))

يخاطب الشاعر ابن مرج الكحل وقد غابت الشمس عن إشراقها ولم يبقَ سوى سناها أو قليل من الضوء الذي يشع عنه، فناب عن إشراق تلك الشمس وأضاء ذلك الظلام الدامس وبذلك فإن هذا الحبيب قد جعل الغروب أكثر إشراقاً بحيث لم يود الشاعر أن يقول للحبيب لو أنه يوشع فتى النبي موسى (ع) الذي رد الشمس عن غروبها .

تعد القصة القرآنية من أكبر وأهم المصار التي اعتمدها الشاعر الأندلسي في بناء نصوصهم الشعرية الإبداعية، مستفيداً منها في الأسلوب والصياغة والفكرة والموضوع المناسب ليضمن فيها رؤيته الشعرية تضميناً نصياً أو أشارياً ، وهذا ما نسجه الشاعر ابن الأحمر[١٠٨] في رؤيته الشعرية التي يبين فيها عظمة ومنزلة خاتم الرسل والأنبياء محمد (ﷺ) بقوله[١٠٩]:

اذا الرسل بالافصاح طال مقامهم

يطول رسول الله، وهو خطيبها

وإن أظهروا بالمعجزات عجائباً

فقد ريئ بالمختار منها عجيبا

اذا ما عصا موسى أعيدت يقودها

له حية تسعى وخيف معيبها

ففي الماء لما من أصابعه انهمى

لمعجزة ما في البرايا ضريبها

وفي النهر لما جازه مياهه

به الأرض يروى حزنها وسهوبها

فلم تندَ احفاف اعطى بمائه

وامواهه قد ضيف منها رسوبها

ابن الأحمر في رؤيته الشعرية يشيد بعظمة ومنزلة الرسول محمد (ﷺ) فهو قدوة المسلمين ومثالهم الأعلى، لاسيما أن الباري عزّوجلّ أرسله رحمة للعالمين **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**[١١٠]، فالشاعر هنا في معرض مدحه للرسول محمد (ﷺ) يقارن بين معجزات النبي محمد (ﷺ) وبين معجزات النبي موسى (ع) وخاصة معجزة العصا. فالشاعر ضمن رؤيته الشعرية في بيان قدرة هذه المعجزة في شقها البحر الذي اتخذه بني إسرائيل طريقاً للنجاة من قوم فرعون وظلمه وطغيانه.

وعندما أمر الباري عزّوجلّ نبيه موسى (ع) بمغادرة مصر، ولما سمع فرعون برحيلهم تعقبهم بجنوده، فلما وصل (ع) إلى خليج السويس اوحى اليه أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فشق الطريق وسط البحر ليصبح طريقاً يبساً فكانت تلك المعجزة من معجزات النبي موسى (ع)، فسار بذلك موسى (ع) من أمامهم وهارون من خلفهم، وبلوغ فرعون وجنوده البحر، ورأوا تلك الطرق وبدأوا في السير فيها، فأطبق عليهم الطريق وغرقهم في الماء، تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ** [١١١] ، لذلك فقد اتخذ الشاعر من معجزات الأنبياء محمدٍ وموسى (صلوات الله عليهم) مادة شعرية مهمة، وضمن فيها أفكاره الواسعة بألفاظ ونصوص شعرية مختصرة، وهذا ما عملت عليه تقنية التضمين في معظم النصوص الشعرية الأندلسية، لكون شاعرها أطلقها بما يلائم باعثه الاجتماعي كون النبي محمد (ﷺ) خاتم الرسل والأنبياء ونبي هذه الأمة.

وقد سعى القرطاجني إلى تضمين القصة القرآنية في مواطن شعره الاجتماعي الدال على حب الناس لممدوحه، فقد كان لهذا الخليفة صفة دينية ليكونهم خلفاء للأنبياء وخاصة النبي موسى (ع) في أداء رسالته السماوية، وكونهم ملتزمين على تطبيق أحكام وشرائع القرآن، فكان لابد للقرطاجني إن يضمن من القرآن حتى يمدح الخلفاء أمام مجتمعه الأندلسي، ومن ذلك قوله[١١٢]:

مـــــن الجانـــــب الشـــــرقي نـــــودي كـــــل مـــــن

علـــــى الارض مـــــن دان[١١٣] ســـــعيد ومـــــن نـــــاء[١١٤]

كمـــــا أســـــعد الله ابـــــن عمـــــران إذ ســـــرى

الـــــى الجانـــــب الغربـــــي مـــــن طـــــور ســـــيناء

فمن خلال مدح الشاعر للخليفة الحفصي المستنصر، الذي يعرفه القريب والبعيد والقاصي والداني من الشرق والغرب، لاسيما أن الشاعر ماثل الخليفة الحفصي بالنبي موسى (ع) بأن الله سيسعده كما اسعد النبي موسى (ع) حينما أسرى من الجانب الغربي من طور سيناء، تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ** [١١٥].

وفي بيان تمثل الشاعر بالقرآن الكريم وتضمين آياته في أبياته الشعرية ذات الباعث الاجتماعي، يخلص ابن الخطيب في بيان صفات ممدوحه وكرمه على الناس بقوله[١١٦]:

أ يحيـــــى ســـــقى حيـــــث كـــــت الحيـــــا فـــــنعم الشـــــعاب ونعـــــم الوكـــــون

وحـــــي يراعـــــك مـــــن آيـــــةٍ فقـــــد حـــــرك القـــــوم بعـــــد الســـــكون

ودعـــــوت لخدمة(موســـــى) عصـــــاه واســـــلم مـــــن احلهـــــا المشـــــركون

وســـــاعدك الســـــعد فيمـــــا اردت فكـــــان كمـــــا ينبغـــــي ان يكـــــون

فالشاعر يخاطب ويمدح ((زكريا بن خلدون)) ويشيد بشجاعته وكرامته على الجميع، مشبهاً الشاعر كرمه هذا بالمطر الدائم الذي سقط ليسقي أغصان الأشجار وفروعها ويروي أعشاش الطيور، وشجاعته كالشهاب أو المصباح المنير والتي أثرت هذه الشجاعة أو القوة على قومه لتحركهم من صمتهم وهدوئهم، لذلك فالشاعر أفاد من قصة النبي موسى (ع) ولاسيّما عصاه حينما ألقاها لتتحول إلى ثعبان وتلقف حبال وعصي سحرة فرعون، هذا الموقف هو الذي تبين فيه صدق معجزة، ونبوة موسى (ع) أمام فرعون وسحرته، فإنقاذ وخضع وذل واسلم السحرة لموسى (ع)، لذلك المغزى من تضمين الشاعر للقصة الموسوية هو أن الشاعر استمد بعضاً من صفات وخصال وقوة معجزة النبي موسى (ع) ضد فرعون وسحرته الذي طالما يقدم المعونة والرفاهية لأي شخص متى ما أراد ومتى ما يلزم ذلك، تضميناً أشارياً لقوله تعالى : **قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** [١١٧].

ومن خلال الجانب الاجتماعي (الاخوانيات) ينشد ابن الخطيب قوله[١١٨]:

أيـــــا راكـــــب البحـــــر الاجـــــاج[١١٩] مخـــــاطراً

تقـــــدم باســـــم الله مرســـــاك والمجـــــرا

وبلـــــغ امانـــــات المشـــــوق ولا تقـــــل

ترحـــــل مختـــــاراً ((لعـــــل لـــــه عـــــذراً))

فالشاعر يخاطب الشيخ الخطيب أبا الحسن علي بن عبدالله بن الحسن النباهي يناديه ويشجعه على الرغم من خطر ركوب البحر الشديد الملوحة، مستعيناً بالله سبحانه وتعالى فهو الحارس والمنجي له، موحياً إياه بأخبار أعزائه وأحبابه اشتياقه وسبه وتوده لهم، فالشاعر استمد رؤيته الشعرية من قصة النبي موسى (ع) مع العبد الصالح، ففي أثناء هذه الحادثة ورحلة موسى مع العبد الصالح (عليهما السلام) وهما يسيران على ساحل البحر حتى لمحا السفينة، فطلب العبد الصالح (ع) من أهلها الركوب فيها والذهاب معهم إلى حين وصولها، وما ان ركبا في السفينة فما كان من الخضر (ع) إلاّ أن يخلع لوحين خشبيين منهما، فكانت ردة فعل موسى (ع) على الخضر بأنه سيغرق أهلها فرد عليه مذكراً إياه بالشرط الذي قاله له مسبقاً أ لم أقل لك انك لم تستطع معي صبراً، تضميناً نصياً لقوله تعالى : **قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا**[١٢٠].

لذلك كانت قصة النبي موسى (ع) مسيطرة على أذهان الشعراء الأندلسيين عبر جوانب عدة وفي رؤى وخطابات شعرية مختلفة، فمن ألقائه في اليم خشيةً من قتله إلى ترعرعه ونشأته في بيت فرعون، ومن ثم قتله للقبطي وهروبه إلى مدين وزواجه من بنت شعيب (ع)، وتكليمه الباري عزّوجلّ عند جبل الطور العظيم الذي كان بداية فاتحة جديدة واثبات المعجزات والنبوات للنبي موسى (ع)، إلى ألقاء العصا التي فصلت بين الحق والباطل وما مثلت من طريق النجاة قوم بني إسرائيل من فرعون لتكون بداية النهاية لهذه القصة الخالدة مع الخضر (ع)، فعند التمعن بهذه القصة القرآنية العظيمة، وبرؤية منهجية وشمولية، نجد أن جوانبها مكتملة ومطابقة لمفاصل الحياة المختلفة في العصر الأندلسي، مما دفع بالشاعر إلى إضفاء نوع من الموضوعية والدرامية بجوانبها الدينية والنفسية والاجتماعية على عاطفته الغنائية فلجأ إلى اتخاذ الشخصيات الدينية كمعادل موضوعي لتجربته الشعرية، يبث من خلاله أفكاره وخواطره بما يلائم الباعث الشعري المضمن للقصة القرآنية ، وعلى وفق آلية خاصة من آليات تشكيل النصوص وتضمينها . كأن تكون هذه الالية نصية او اشارية بحسب الجانب الذي يقتضيه الموقف الشعري ومدى ملائمة النص القراني مع النص الشعري.

هوامش البحث ومصادره

(١) يُنظر : الأدب وفنونه، عز الدين إسماعيل، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م : ٤٣.

(٢) يُنظر : التناص في نماذج الشعر العربي الحديث، موسى ربايعة، ط١، مؤسسة حمادة، اربد، ٢٠٠٠م، ٨٨، ٩١، ٩٨.

(٣) ديوان ابن زيدون، دراسة وتهذيب: عبدالله سندة، ط١، دار المعارف، بيروت، ٢٠٠٥م: ٨٨.

(٤) إياس : هو إياس بن معاوية المزني، ولي القضاء زمن عمر بن عبدالعزيز(رضي الله عنه) وهو مضرب المثل في الذكاء والفطنة والعدالة.

(٥) سنا : نور وضياء.

(٦) غسق : ظلمة.

(٧) اقتباس : اهتداء واستدلال.

(٨) خاسوا : خانوا ونقضوا.

(٩) أذؤب : ذئاب .

(١٠) انتهاش بالأضراس.

(١١) انتهاس بالأسنان.

(١٢) اعتساس: طلب الصيد ليلاً خفية، وكأن أعداء الشاعر ذئاب يخرجون ليلاً ويصطادون خفية وسرقة ويتجسسون عليه.

(١٣) انبجاس : انفجار ونبع الماء، وان من الحجارة لما يتفجر ... فيخرج منه الماء.

(١٤) سورة طه : ٩٧.

(١٥) سورة طه : ٩٧.

(١٦) ديوان ابن زيدون : ٩٣ .

(١٧) عد : صرف.

(١٨) عدىً : أعداء.

(١٩) أديمي : جلدي.

(٢٠) عط : شق وتمزيق ؛ أيبغي الغيبة والبهتان عليَّ.

(٢١) أضغان : أحقاد.

(٢٢) أساود : حيات.

(٢٣) رقط : رقطاء فيها سواد وبياض.

(٢٤) القلى : الهجر.

(٢٥) النفاسة : البخل.

(٢٦) الغمط : إنكار الحق وعدم الشكر.

(٢٧) وسموني : وصفوني.

(٢٨) ولم يمن : ولم يختبر ويمتحن.

(٢٩) إرابة : ريبة وخوف ومنقصة.

(٣٠) سورة القصص : ٢٠-٢٢.

(٣١) علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي اليزيدي، عالم الأندلس في عصره، وأحد ائمة الإسلام، ولد في قرطبة سنة (٣٨٤ه) فزهد بها وانصرف إلى العلم، فكان من صدور الباحثين فقيهاً شافعياً، ثم انتقل إلى المذهب الظاهري، توفي سنة (٤٦٥ه)، ألف العديد من الكتب اهمها طوق الحمامة، رسائل ابن حزم، جمهرة انساب العرب ؛ يُنظر : طوق لحمامة في الألفة والآلاف، ابن حزم الأندلسي، تح : صلاح الدين القاسمي، ط١، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م : ٢٠ ؛ معجم شعراء العرب : ١٣١ ؛ سير اعلام النبلاء : ١٨/١٨٤-٢١٣.

(٣٢) يُنظر: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: صلاح الدين الهاشمي، ط١، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م: ٦٢٠-٦٢١ .

(٣٣) رسائل ابن حزم الأندلسي، تح : احسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م : ٢١١/١، ويُنظر: طوق الحمامة: ٦٢١ .

(٣٤) نضانض : حية نضانض : تحرك لسانها.

(٣٥) سورة الشعراء : ٤٥.

(٣٦) رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م: ٣٠٦/١.

(٣٧) قدارها : يعني قدار بن سالف عاقر الناقة.

(٣٨) سورة طه : ٧٧.

(٣٩) طوق الحمامة : ١٨٧ – ١٨٨.

(٤٠) موطئ : موضع.

(٤١) جفا : بَعُدَ ، هجر.

(٤٢) مَحِلَ : أجدب، اي انقطع عن هذه الارض المطر فيبست ارضه.

(٤٣) الثرى: التراب الندي.

(٤٤) سورة طه : ٨٨.

(٤٥) ابو القاسم خلف بن فرج الالبيري المعروف بالسمسير، ولد في البيرة وكان كثير الهجاء توفي سنة ٤٨٠ه في قرطبة، من مؤلفاته : شفاء الامراض في أخذ الاعراض ؛ يُنظر: خريدة القصر وجريدة العصر : ١٥/٢ ؛ الذخيرة ، ق٢: ٣٧٧-٣٩١.

(٤٦) الذخيرة : ٨٩٤/١.

(٤٧) سورة الشعراء : ٤٥.

(٤٨) ابو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي المعروف بابن اللبانة، من اهل دانية وهو احد الشعراء الأندلسيين الكبار وقد تردد كثيراً على ملوك الطوائف وخصوصاً على صاحب ميورقة، وله في المعتمد كتب مؤلفة وأشعار منونة، كانت وفاته في ميورقة سنة ٥٠٧ وكان اديباً ناثراً، من مؤلفاته (سقيط الدرر ولقيط الزهر) يُنظر: قلائد العقيان، ابن خاقان، تحقيق: حسين مؤنس خربوش، ط١، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ١٩٨٩م . : ٧٧٦.

(٤٩) ديوان ابن اللبانة، محمود شعرة، تح : محمد مجيد السعيد، ط٢، دار الراية، الاردن، ٢٠٠٨م : ٢٦-٢٧.

(٥٠) الركبُ : القافلة او الموكب.

(٥١) سقط الطل : ما سقط من الندى.

(٥٢) الدياجي : الظلمات.

(٥٣) أبو بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي، يلقب بالجزار وأخرى بابن الجزار والراجح أن يكون اللقب له لا لأبيه، لما صح من أنه كانت مهنته الجزارة فانتسب لها، وغير معلوم متى عمله بالجزارة ولا متى عدل عنها ثم عاد اليها ثانية. يصور الشاعر الدنيا وقد قلبت له ظهر المجن فيراها خداعة متلونة لذلك يجاريها ويحتال عليها ؛ يُنظر: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، احمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م: ٤٠٤/٣ ؛ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتيري، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م، ق٣ : ٩٠٥/٢ .

(٥٤) روضة المحاسن وعمدة المحاسن، ديوان أبي بكر بن يحيى بن محمدالمعروف بـ (الجزار) السرقسطي، تح : منجد مصطفة بهجت، ط١، عالم الكتب الحديث، اربد، ٢٠٠٧م : ٩.

(٥٥) توخى : قصد.

(٥٦) سورة الكهف : ٨٢.

(٥٧) احمد بن عبدالله بن هريرة القيسي ابو العباس الاعمى التطيلي، ولد سنة ٤٨٥ في اشبيلية ونشأ فيهان شاعر ووشاح أندلسي، له ادب بارع وله ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ٥٢٥ ؛ يُنظر : معجم شعراء العرب : ٥٤٥ .

(٥٨) ديوان الاعمى التطيلي ومجموعة من موشحاتهن تح : احسان عباس، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م : ٢.

(٥٩) الضلال : الباطل.

(٦٠) سورة طه : ٦٩.

(٦١) ديوان الأعمى التطيلي ومجموعة من موشحاتهن، تحقيق: أحسان عباس، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م: ٥٨.

(٦٢) راحته : كفه.

(٦٣) سور الأعراف : ١٠٧.

(٦٤) ديوان الاعمى التطيلي : ٢١٩.

(٦٥) جذيمة : جذيمة الابرش. ثالث ملوك تنوخ واول ملك في الحيرة.

(٦٦) سورة الأعراف: ١٠٧.

(٦٧) سور الأعراف : ١١٧.

(٦٨) يُنظر : العمدة: ٨٤/٢-٨٥.

(٦٩) يُنظر : خزانة الأدب : ٣١١/٢.

(٧٠) الذخيرة، ق : ٣٢٦/١.

(٧١) قدّي : جسمي.

(٧٢) مآرب : حاجات ومنافع اخرى.

(٧٣) سورة طه : ١٧.

(٧٤) الذخيرة ، ق٤ : ٣٣٤/١ ؛ ويُنظر: نفح الطيب : ٤٩١/١.

(٧٥) خلت : حسبت.

(٧٦) سورة طه : ١٢.

(٧٧) ديوان الرصافي البلنسي، جمعه وقدّم له: إحسان عباس، ط٢، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣م: ١٠٤ ؛ ينظر: نفح الطيب : ٥٧/٥ ، ٤٣٨/٣.

(٧٨) الغبوقُ : ما يشرب في العشين خلاف الصبوح.

(٧٩) نديمك : شرابك المسامر.

(٨٠) الإحاطة في أخبار أهل غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٦م: ٣٥٧/٣ ؛ ينظر: نفح الطيب : ٦٧/٥ .

(٨١) غسق : ظلمة الليل.

(٨٢) شفق : حمرة تظهر في الأفق حيث تغرب الشمس، وتستمر من الغروب إلى قبيل العشاء تقريباً.

(٨٣) سورة طه : ١٠.

(٨٤) نفح الطيب : ٢٥٥/٦١.

(٨٥) رونق : حسن وبهاء وإشراق.

(٨٦) وشي : نقش.

(٨٧) نمق : زخرفة وزينة.

(٨٨) معصعم : موضع السوار من اليد.

(٨٩) سورة الإسراء : ١٠١.

(٩٠) صفوان بن ادريس، شعره، صححه وحققه : أحمد حاجم الربيعي، مجلة كلية التربية، المستنصرية/ عدد ١ – ٢، ٢٠٠١م : ٢٣.

(٩١) سرط : ابتلع.

(٩٢) منهمرة : غزيرة.

(٩٣) سورة الأعراف : ١١٧.

(٩٤) الشاعر المحسن الشهير أبو الحسن علي بن محمد بن خروف القرطبي، اصله من قيذاف، نشأ في قرطبة ورحل قبل أن يعظم اشتهار ذكره إلى المشرق، مدح الكثير من الخلفاء والأمراء والسلاطين، توفي في حلب سنة (٦٠٩ه)، يُنظر: الأعلام: ٤/ ٣٣ .

(٩٥) نفح الطيب : ٨٩/٤.

(٩٦) عروبة : يومُ الجمعة في الجاهلية.

(٩٧) أواب: دائم العودة والرجوع إلى ربه.

(٩٨) املود : ناعم لين.

(٩٩) قويم : معتدل.

(١٠٠) يميس : يختال.

(١٠١) اراقمه : خبثه، خبث الأفعى.

(١٠٢) سورة الأعراف : ١١٧.

(١٠٣) محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم من أهل جزيرة شقر، يكنى أبا عبدالله، ويعرف بابن مرج الكحل، شاعراً مغلقاً غزلاً، بارع التوليد، رقيق الغزل، انتشرت اخباره وأشعاره في مصادر كثيرة. توفي سنة ٦٣٤ ؛ يُنظر : نفح الطيب : ٥٠/٥ ؛ الإحاطة : ٢٥٢/٢.

(١٠٤) نفح الطيب : ٥٤/٥.

(١٠٥) افلت : غابت واستترت.

(١٠٦) سناك : ضوء الشمس.

(١٠٧) جلا : واضح.

(١٠٨) إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي الانصاري، أبو الوليد، المعروف بابن الأحمر : مؤرخ، أديب غرناطي الأصل؛ يُنظر: الأعلام: ١/ ٣٢١-٣٢٢ .

(١٠٩) نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان، ابن الاحمر، تح : محمد رضوان الداية، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٧م : ١٨٢.

(١١٠) سورة الأنبياء : ١٠٧.

(١١١) يونس: ٩٠ - ٩١.

(١١٢) ديوان حازم القرطاجني، تحقيق: عثمان الكعاك، ط١ن مطبعة عتياني، بيروت، ١٩٦٤م:٥

(١١٣) دان : قريب.

(١١٤) ناء : بعيد.

(١١٥) سورة القصص : ٤٤-٤٧.

(١١٦) ديوان لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: د. محمد مفتاح، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٩م: ٦٠٣.

(١١٧) سورة الأعراف : ١٠٦-١٠٩.

(١١٨) ديوان لسان الدين ابن الخطيب : ٤٣٤.

(١١٩) أجاج : شديد الملوحة.

(١٢٠) سورة الكهف : ٧٠-٧٣.